قائمة الرافدين برئاسة النائب يونادم كنا تشارك في انتخابات

الضياء بهرا
Bahra No. 468 Sun. 4 Jan 2009
العدد٤٦٨ – الأحد٤ كانون الثاني٢٠٠٩ م – ٦٧٥٨ آ

"انا وليلى واشطبوا اسماءكم".. وثيقة وتعليق

فرج ياسين

هذه هي النسخة الاولى لقصيدة "انا وليلى.."، وهي النسخة التي فرقها الشاعر حسن المرواني بين اصدقائه عشية القائها في كلية الاداب عام ١٩٧٠. عثرت عليها احدى كريماتي بين اوراقي، وباهت بها زميلاتها في المدرسة الثانوية، بعد ان غناها الفنان كاظم الساهر، غير ان ذلك شكل بالنسبة لي مفارقة "تاريخ ادبي"، اذ كنت ممن تحفظوا على هذا اللون من الشعر التقليدي الحسي المتواطئ مع بعض موجهات الموروث الغزلي في ديوان الشعر العربي. واذكر انني واجهت الصديق المرواني بذلك صراحة -حين طلب مني قول كلمة فيها- بوصفنا زملاءً، نكتب الشعر، ولكن كل على طريقته الخاصة.

كنا آنذاك في صميم حقبة شعرية ذهبية، وكان ثمة موروث الحداثة الشعرية المتألق، وانجازات جيل الستينات المجدد: سامي مهدي، وفاضل العزاوي، وحسب الشيخ جعفر، وخالد علي مصطفى، وسركون بولص، وامال الزهاوي، وعبد الرحمن طهمازي، ومي مظفر، وعبد الامير معلة، وعلي جعفر العلاق وحميد الخاقاني، وكاظم الحجاج، ونبيل ياسين..

وكان الراحل يوسف الصائغ قد القى من على منصة قاعة الحصري، في الموسم نفسه، قصيدته الدرامية المعروفة "انتظريني عند تخوم البحر". وكانت مجلة الكلمة ستطلق اسماء الشعراء المرشحين لقيادة الشعر السبعيني بعد عامين او ثلاثة، فضلا عن ان المجلات المتخصصة كالاقلام والاديب المعاصر، والصفحات الادبية في الصحف اليومية لم تكن تستقبل نصا شعريا تقليديا واحدا، الا لاسباب غير شعرية.

مما اوزعني على تقديم هذه المقاربة، مشاهدتي برنامجا تلفازيا حواريا على قناة تدعى "العدالة" يتناول موضوعه قصيدة "انا وليلى.." اهي لحسن المرواني، ام للشاعر الراحل خالد الشطري؟ وكان المحاور شخصا متواطئا احضر معه الى البرنامج مسلمة يقينية تتماهى مع طرح الضيف، وتنوع عليها، اما الضيف فهو نجل الشاعر الشطري، السيد وليد. وقد عرفت -لاول مرة- ان ثمة قضية قائمة منذ زمن، وان كاظم الساهر نفسه لم ينج من شواظها.

واطمئن السيد وليد "اذا اتيح له ان يطلع على هذه السطور"، انني لم اقدم صورة القصيدة الان، بوصفها وثيقة داحضة، لانها غير مؤهلة لاثبات او نفي. بل لمجرد انها استدرجت مخيلتي، فوجدت في الامر كله مناسبة للاشارة الى ثقافة الوهم لدى اجيال اقل مصداقية من جيل الشاعرين حسن المرواني وخالد الشطري.

هذه القصيدة لا تمتلك ان تثير كل ما اثير، واذا كانت قد نجحت "على يد" كاظم الساهر، ولا اقول ذائقته الفنية او حنجرته المميزة، فانها ما كانت ستنجح ذلك النجاح، وان تعاورتها عشرون حنجرة ليس لها سمعة كاظم الساهر وشهرته. فضلا عن انها صنيعة سياق شعري مألوف ومتداول عمره ستة عشر قرنا..

وانها لم تأت بجديد على صعيد الرؤية او البناء او الدلالات. كما ان هذا النوع من الشعر يبالغ بتسويق عاطفة هشّة، ناكصة وانهزامية وفاضحة، ويجرد مضمرا انثويا سلبيا "بريئا"، يقع خارج الذات المدعية، ولا يسجل علاقة متبادلة انسانيا، على اي مستوى صراعي، ناهيك عن النفس المازوخي الطاغي على صوت الشاعر.

وكانت هذه القصيدة، قد تقاسمت الشهرة، في ذلك العام. مع قصيدة ساخرة عنوانها "زغيرة وما تعرف تحب"، تنهض على سجال مشابه، اذ ان الناظم، كان ينصب ذاته مسرحا لسخرية مخجلة في الوسط الثقافي، الذي استمر في اثراء تشكله الحميد في فضاء المتن المعلن، تقوده الصحافة التي كان يديرها شباب الجيل الستيني من الادباء، بعد ان بدأوا طرح سؤال التجريب، واسئلة الحداثة.

خلاصة الشعر خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

أرّقَ العينَ من الشوقِ السهرْ
وصبا القلبُ الى امّ عُمَرْ
واعترتني فكرة من حُبّها
ويح هذا القلب من طول الفِكَرْ
قَدَرٌ سيق فمن يملكه؟
اين من يملِك اسباب القدر
كلّ شيء نالني من حبّها
-ان نجتْ نفسي من الموتـ هدر

ابيات الغزلْ هذه قالها توبت اليماني وهذا لقبه اما، اسمه فهو عبد الملك بن عبد العزيز السلولي، وقد نسب الى اليمامة لانه فيها نشأ وتوفي.

لم يرد في شعره مديح او اتصال بأكابر القوم لذلك لم تتناوله مدونات الادب، الا انه قصرَ شعره على محبوبته سُعدى وهجوه زوجها، وشعره جميل ورقيق ينم عن قدرة شعرية وتصوير رائع لمعاناة شاعر عاشق. رغم ان صوره لاتخلو من التقليد: ومن جميل هجاء زوجها يحيى بن ابي حفصة وكنيته ابو الجنوب قوله

فما لكَ مِثل لمّته تُدرّى
ومالكِ مثل بخل ابي الجنوبِ
اذا فقد الرغيف بكى عليه
واتبعَ ذلك تشقيق الجيوب
يُعذّب اهله في القَرص حتى
يظلوا منه في يوم عصيبِ

لمّته.. جزء من شعر الرأس المقارب للأذن

تدرّى.. تسرح.. القِرص..تدوير العجين وجعله قطعا صغيرة ثم بسطه ليكون جاهزا للشوي.. وتصغير العجين وبسطه للشواء اي جعله اقراصا صغيرة فيه عذاب للاهل. وهذا يدل على بخل صاحب الدار، بينما تتباهى الناس بكبر ارغفتها للدلالة على اليسر والجاه والكرم. ومن جميل شعره فيها قوله

من كان اصبح غالباً لهوى التي
يهوى فان هواكِ اصبح غالبي
قالت: واسبلت الدموع لتربها
لّما اغتررتْ واومأتْ بالحاجب
قولي لـه: بالله يطلق رحله
حتى يزوّدَ او يروحَ بصاحبِ

وقوله

يابنت أزهرَ ما أراك مثيبتي
خيراً على ودّي لكم وتلطفي
كأخي يغره في مائها
قطع السراب جرى بقاع صفصفِ

بنت أزهر يقصد صاحبته لان اسمها سعدى بنت أزهر التشبيه في البيت الثاني "كأخي الفلاة" يقصد به هنا طارق الصحراء الذي يتوهم السراب ماء يجري في ارض مستوية.. هذا التشبيه مستمد من حياة البداوة، ولانجد هذه الظاهرة في الحياة المدنية. او في الحواضر ولا تبدو هذه الحالة الا في الصحارى والقفار شرط ان تكون الارض منبسطة مستوية.

نعود الى ابياتنا التي تظهر توجعه مما يعاني فالسهر صديق العشاق لكن سهر شاعرنا ارق عينيه من كثرة الشوق وابعد عنهما النوم. وصبا القلب بمعنى اشتاق الى ام عمر ويبدو ان اسم ام عمر هو كنيتها. ثم تعاوده الافكار، وهل للعشاق سوى التفكير في محبوباتهم. ويح بمعنى ياله فهو تعجب من شدة الفكر.

ثم يعود الى القدر الذي ساق هذه المحبوبة اليه او ساقه اليها.. وفي هذا الجانب بـم يجد الشاعر من يلومه على ماهو فيه فلامَ القدر. ونظرا لعجزه عن تحدي القدر فقد وقف حائرا امام من يملك اسباب القدر. ثم يعترف بانه عاجز عن فعل اي شيء تجاهها فقد ناله منها كل شيء، وكل شيء هنا تعني الخسران فقط لذلك فقد ضاعت حياته هدراً هذا فيما لو نجت هذه الحياة من الموت.

هواجس

سألتني عنك!! .. فبكيت

من سنين كنا معا ورحلت
واليوم سألتني عنك بغدادي
فقلت لها: لا تثيري شجوني
فحديثي عن بغدادي طويل
والكلمات تعجز عن تصويرها والاشجان تروي
قيود جناحيها... واشعلوا لهيب الفتنة فيها
قد اغمضوا العيون.. ولا ادري الى اي دروب تائهة؟
واي رأس سنة قديمة جففتها الاعاصير
والاشجار والنخيل شاحبة الظلال
والليل قاتم مفعم بالقلق
والنجوم كأنها لم تتجمع في لفة واحدة
ولم يقرأها القلب.. والقيثار تأوه من الم الجرح
رائحة البارود.. وصوت الصراخ والانين..
هواجس وعذاب
حقول اجدادنا والحصاد لغيرنا
طردوا الطفل من ارضه لينشأ بين الغرباء
والشيخ قد شق صدره الما
والأم صامتة في حزن عميق
وما عاد الطفل يدور بطائرته الورقية
حتى السحب يكسوها الشحوب
وبقيت الدعابة في ظل الجفون
آه.. وآه كلمة تطلق نفسها في الوعود
ولو علمت ان الآه تشق مكانها..
لرفضنا الآه طوال الحياة
فالجرح طال به المرض.. وما بقي غير الاشجان..
وانا في انتظار الساعات.. رغما عنها
سيبقى خشوعنا. سجودنا الى بغدادي
ما اجملها واحبها الى القلب..

لونا يوآرش هيدو

شجرة الميلاد

لما وُلد المسيح في بيت لحم، لم تكن له شجرة عيد ميلاد، إذ لم يكن الأولاد وقتها يتمتعون بمثل ما تتمتعون به. كان والدا يسوع فقيرين جدا لذلك لم يولد ابنهما في قصر بل في إسطبل، ولم يوضع على فراش من حرير، بل وضع في مذود ومع ذلك فقط كان الابن الوحيد للأب، وقد ترك عرشه المجيد في السماء وجاء إلى الأرض، في صورة إنسان ليعلم الناس محبة الله لهم ويريهم كيف يحبونه، وفي يوم ميلاده جاءت جوقة سماوية مؤلفة من ملائكة في ثياب لامعة ورتلت ترتيلتها الحلوة لرعاة بيت لحم. ورعاة بيت لحم لم يعيّدو كما نعيّد نحن حول شجرة الميلاد، إذ لم تكن لهم شجرة ولكنهم تركوا أغنامهم، وذهبوا إلى بيت لحم ووجدوا كما قالت لهم الملائكة وسجدوا ليسوع.

كم منا ينشغل اليوم بتزيين شجرة الميلاد بكافة أنواع الزينات، والأنوار المتألقة، وأشكال الهدايا، استعدادا لقضاء ليلة الميلاد سعيداً مع الأهل والاصدقاء

أقف اليوم في هذا العيد أمام شجرة الميلاد، لأسأل يسوع المسيح ماذا لديك يا سيدي لتقدمه لي في هذه المناسبة السعيدة؟

ويأتيني الجواب منه عن طريق يوحنا الرائي

واراني نهر الحياة صافيا كالبلور ينبع من عرش الله والحمل، ويجري في وسط ساحة المدينة وعلى ضفتيه شجرة الحياة تثمر اثنتي عشرة مرة، كل شهر مرة وتشفي بورقها الأمم

نعم هذه هي هدية رب العيد التي يقدمها لنا، هذه هي أعظم شجرة ميلاد في الوجود بهداياها التي يقدمها يسوع لكل إنسان في الوجود

أيها الفقراء الذين لا تجدون من يطعمكم ويهتم بكم

أيها اليتامى الذين لا تجدون أبا في العيد يقدم هديته لكم

تعالوا إلى الذي يفرح قلوبكم ويسعدكم في العيد

تعالوا إلى طفل المذود تجدوه يقول لكم

أنا شجرة الحياة العظيمة

أنا شجرة العيد التي تجدون فيها كل ما تريدون من الهدايا

الوف الهدايا تنتظركم الليلة، وعلى كل هدية اسم كل واحد منكم

الراهب اشور ياقو البازي

نائمون في الأوهام الجميلة*

صباح زوين

كنت أقرأ قبل أيام في جريدة لا ريبوبليكا الإيطالية حوارا أجري مع ملكة اسبانيا تقول فيه للصحافية التي تقابلها "اني أقل حرية منك في إبداء رأيي". يكفي هكذا مثل لكي نعيد النظر في امور حياتنا الثقافية، ونتساءل الى أي مدى نتمتع بالحرية الحقيقية، نحن الصحافيين والشعراء والكتاب والمثقفين الذين من المفترض ان نمارس كتاباتنا وآراءنا في أكبر قدر من حرية القول؟! ألسنا نعتب كل يوم، بل كل لحظة، ضمنا" وسرا، على طغاة الثقافة "وليس السياسة" المحيطين بنا وهم كثرٌ؟ الم نتعب من شراستهم وبطشهم على الرغم من إنشادهم دائما وكذبا بحبهم اللامحدود للحرية والديمقراطية؟! الم يطفح الكيل معنا من تصرفهم المستبد مع بعضهم بعضا فيما ينشرون شعارات منافقة حول حرية الشعراء وجمالها؟!

في اي حال انه مثل حي ونابع من الواقع، ويزيدنا اقتناعا ان حرية الرأي المطلقة غير ممكنة، لكننا نعرف في العمق ان حتى الحرية المتوسطة والنسبية والخجولة والمواربة والديبلوماسية هي ايضا صعبة التحقيق. وبالتالي، هل لا يبقى امامنا، في هذه الحال، سوى ان نسكت عن الأمور التي نراها ولا نحبها؟ لم نقع بعد في السذاجة، ونعلم ان حقيقة افكارنا ورأينا كاملة، لا تقال. نعلم بالفطرة كما ممارسة، ان ثمة خطوطا حمرا وخفية علينا جميعنا ولا استثناء، عدم تخطيها. لكن هذه الأخلاقية الخبيثة التابعة لإيقاع يلازم إيقاع اللعبة، أعني لعبة الكبار كما لعبة الصغار على السواء، هل يحق لها ان تمنعنا عن وضع بعض النقاط على بعض الحروف؟ تعبت من الكتب البالية، الباهتة، الفاقدة اللون والحيوية.

انها كتب الشعر بالعشرات، منها لأسماء معروفة وأخرى لأسماء اكثر تواضعا. قصائد بالأطنان تصدر كل اسبوع او كل شهر وقريبا معرض الكتاب العربي بعد المعرض الفرنكوفوني، وسوف يمطرنا بالكتب من جديد.

كتب لا تحصى من الشعر المعلوك والمدعوك والمفروك الى أن فقد هذا الشعر المسكين كل ما له علاقة بالشعر. قصائد لا طعم لها ولا ايقاع ولا موسيقى ولا صور. ثرثرة مميتة، قاتلة تأتيك ولا تعرف ما تفعل بها. لا جاذبية ولا اختلاف ولا مشاكسة ولا بحث ولا نبض ولا عصب. انما فقط الرخاوة، رخاوة القصيدة المضغوطة ثلاثون الف مرة ربما، قصيدة من قلة الموت تحيا شبه حياة على ورق فائض وغير مقروء. قصائد بالأطنان، وكم من الورق والكرتون بلعت في الماضي عندما كنت مضطرة ان اراجع كتبا ليست بكتب!! كنت مضطرة عندما كنت في الخدمة. اما اليوم وقد خرجت الى فضائي الحرّ والمزاجي، فلا أزال رغم ذلك اتوتر من منظر الكتب المكدسة على الرفوف والطاولات وقد لا نختار منها اكثر من قصيدتين او ثلاثة. لا ازال اشعر بثقل هذه التفاهة في الكتابة كيفما اتفق. شعراء لا حس الإيقاع لديهم ولا حس الصورة ولا حس الموسيقى ولا حس الهندسة ولا حس الإستيتيك: لا حس الشعر فيهم. اقرأ جملا يعتبرونها قصيدة، جمل لا حياة فيها ولا ميزة ولا اناقة في القول ولا دهشة ولا ولا ولا. الا تسمع أذنهم ما يكتبون؟! وهنا لا استثني "السادة" ولا اميزهم عن "الأقل من السادة"!! كتبُ شعرا قدر ما تشاء وترغب، وما من قصيدة تلفت النظر. وماذا يمكنني ان اكتب بعد عن كل هذه الإصدارات المتطابقة والمتشابهة الى حد القرف؟

وعودة الى حرية الكلام، هل يمكنني ان اقول لهذا او ذاك من الشعراء ان كتابه قد ارمي ٩٥ منه في سلة المهملات؟ وهل استطيع ان اقول لتلك ان كتابها غير مترابط والقصائد فيه كأن كل "بيت" مسكوب على حدة؟ وهل استطيع ان أقول لذاك ان كتابته فارغة الى حد الغثيان؟ وهل يمكنني ان اصحح وأصوّب قصائد فلان او علان أثناء القراءة كي ترتاح روحي؟! طبعا لا، لا إستطيع القيام بذلك باستمرار. ثم أن الشعر فعل شخصي اناني ذاتي فردي بامتياز، وليس عملا جماعيا. وهل استطيع ان اقول لهذا او ذاك ان قصائده ذهنية باردة مفتتة الأوصال وغير مقنعة؟ لا، لا نستطيع لا أن نجرحهم ولا ان نعاديهم!

المشكلة انهم يصدرون كتبا، لكنهم ينسون ان الشعر لم يتبنهم بعد. وهم، هم نائمون في الأوهام الجميلة!!

انتظر معرض الكتاب في أي حال، لأجول بين دكاكين الكتب المؤقتة، ولكن أيضا لأجلس في مقهاه، على الرغم من قبحه ومنظره الفقير وفوضاه. وهنا اتساءل لماذا مقهى المعرض الفرنكوفوني كان جميلا وطاولاته من خشب وكراسيه انيقة وحيطانه مزينة بلوحات زيتية ثمينة، بينما مقهى معرض الكتاب العربي ما من لوحات على حيطانه، وطاولاته كما كراسيه من البلاستيك الأبيض التافه والرخيص، وأرضيته وسخة وفقيرة، والفوضى سيدة المكان ودخان السجائر الكثيف يلف الجميع.

-صباح زوين، شاعرة وصحافية لبنانية.

* عن موقع كيكا.

شارلي شابلن: لست شيوعيا لكنني مؤمن بشيوعية الكوميديا

ميدل ايست اونلاين

رغم المكانة التي بلغها الممثل والمخرج السينمائي الرائد شارلي شابلن وما ترتب عليها من تقدير في معظم دول العالم وفي بلده بريطانيا فان هذا لم يشفع له أمام النائب العام الأميركي الذي رفض في أيلول ١٩٥٢ منحه تأشيرة دخول وهو في عرض البحر قادما من بريطانيا الى الشاطئ الأميركي.

كما لم يشفع لشابلن في فترة ملاحقة مثقفين وفنانين أميركيين بتهمة الشيوعية أو ما يعرف بالمد المكارثي أنه قدم عام ١٩٤٠ فيلم "الدكتاتور العظيم" ساخرا من زعيم ألمانيا النازية أدولف هتلر. وأمام اتهامه بالشيوعية لم تفلح محاولاته الدفاع عن نفسه على مدى بضع سنوات فاضطر لمغادرة البلاد نهائيا. وسجل كتاب "هل أنت شيوعي يا مستر شابلن؟" أن شابلن وجد حفاوة شعبية وسينمائية في كثير من دول العالم وكرم في أكثر من مهرجان دولي وفي بلده بريطانيا أقيم له تمثال كبير أزيح عنه النقاب في ١٦ نيسان ١٩٨١ "على بعد خطوات من تمثال شاعر المسرح الانجليزي الخالد" وليام شكسبير.

وحياة شابلن جديرة بالتأمل في الصعود من القاع الى القمة منذ ولد عام ١٨٨٩ في حي كينغتون بلندن مرورا بالقبض عليه مع أخيه سيدني بتهمة التشرد وادخاله ملجأ للايتام. وألحت صحف المليونير الأميركي راندولف هيرست على الصاق تهمة الشيوعية بشابلن على مدى أكثر من ٣٥ عاما الى أن اضطر الى مغادرة أميركا دون الحصول على جنسيتها حيث كانت تلك الصحف تلاحقه بأسئلة مستفزة "هل تفكر في زيارة الاتحاد السوفيتي؟ ما رأيك في الثورة الروسية؟ ماذا تظن في لينين وهل تريد مقابلته ومتى وأين ستكون هذه المقابلة؟" وكانت تلك الصحف تهدف الى ابعاده عن البلاد وتصفه بأنه مهاجر انكليزي قذر يرفض الجنسية الأميركية. وكان شابلن يعلن بصراحة "لست شيوعيا ولكني صانع سلام" وخرج من أميركا بعد أن قضى بها ٤٠ عاما وأقام في سويسرا حتى وفاته عام ١٩٧٧.

وكتاب "هل أنت شيوعي يا مستر شابلن؟" الذي ترجمه وحرره الكاتب المصري رمسيس عوض يحمل عنوانا فرعيا هو "قصة شارلي شابلن مع المخابرات الأميركية: وثيقة تاريخية" ويقع في ١١٩ صفحة متوسطة القطع وصدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة.

وسجل الكتاب أن الاتهامات استندت الى بعض تصريحات لشابلن منها قوله عام ١٩٤٢ "اذا كنا نرغب في كسب الحرب "العالمية الثانية" واذا كنا نريد من روسيا أن تظهر لنا تعاونها الكامل فعلينا أن نتوقف عن شن الحملات ضد الشيوعيين". وأضاف أن ما عزز توجيه الاتهام بالشيوعية الى شابلن فيلمه المثير للجدل "المسيو فيردو" ١٩٤٧ "الذي كان سببا مهما في اشتباه المخابرات المركزية في تعاطفه مع الشيوعية". كما أورد الكتاب تحقيقا مطولا أجراه مكتب التحقيقات الفدرالي عام ١٩٤٨ مع شابلن الذي اعترف بأنه لا يعرف شيئا عن الشيوعية ولم يقرأ كتابات كارل ماركس وأنكر أنه تبرع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة للحزب الشيوعي في أميركا. وشدد على أن ما يربطه بالشيوعية هو أن السلطات الأميركية اختارته في نهاية كانون الاول ١٩٤٠ لتمثيل الولايات المتحدة -بدلا من السفير الأميركي السابق لدى الاتحاد السوفيتي جوزيف رافيز- لالقاء كلمة أمام اللجنة الأميركية للتخفيف من ويلات الحرب في سان فرانسيسكو وأنهم "طلبوا مني أن أدعو الى جمع التبرعات من أجل الاعمال الخيرية الروسية أو من أجل شيء من هذا القبيل، والكلمة التي حرصت دوما على ابرازها في كل أحاديثي هي الدعوة الى وحدة الصف بين روسيا والحلفاء لكسب الحرب" مضيفا أنه حافظ دائما على استقلاله ولم يلتحق بأي منظمة سياسية.

ونفى شابلن أن يكون قد تقدم بطلب للحصول على الجنسية الأميركية لانه منذ كان في التاسعة عشرة "كان يخامرني دوما احساس بالانتماء الى العالم كله وهو احساس يكبر وينمو معي كل يوم". وذهب التحقيق الى توجيه أسئلة لشابلن بعيدة عن الاتهام المباشر بالشيوعية ومنها مثلا ما اذا كان يرى أن الطريقة الشيوعية في الحياة تتواءم مع أسلوب الحياة في أميركا. لكنه اعترف صراحة بأنه لا يعرف شيئا عن أسلوب الحياة الشيوعية وأن الاراء المنسوبة اليه في هذا الامر شائعات سياسية وأن جميع انتماءاته بعيدة تماما عن أي تنظيمات سياسية. وقال انه لا يتصور أن الاسلوب الشيوعي في الحياة أفضل "ولو كنت أعتقد ذلك لذهبت لاعيش هناك. ولكني في نفس الوقت لا أعادي طريقة السوفييت في العيش، اللهم الا اذا قاموا بغزو أميركا. عندئذ سأكون أول من يهب لحمل السلاح واشهاره في وجوههم".

وأضاف أنه كان ضروريا أن يمتدح السوفييت خلال الحرب العالمية الثانية "لاني شخصيا امنت بأن الروس يؤدون عملهم بطريقة رائعة كما امنت بأنه لولا بسالة روسيا لنجح هؤلاء النازيون في احتلالنا واني لشديد الايمان بهذا ولست أرى سببا يدعونا الى معاداة روسيا". وقال عوض ان ملف شابلن في مكتب التحقيقات الفيدرالي يبلغ ٢٠٦٣ صفحة "ولعل أطول تقرير كتبته الاستخبارات الأميركية هو ذلك التقرير (..) بتاريخ ١٤ تشرين الأول ١٩٥٢ الذي يعتبر شابلن خطرا على الامن القومي الأميركي" حيث كان هذا التقرير جزءا من تحقيقات تهدف الى ايقاف توغل الفكر الشيوعي في صناعة السينما الأميركية.

وأضاف أن شابلن بعد رفض السلطات الأميركية منحه تأشيرة دخول عقد في لندن يوم ٢٣ ايلول ١٩٥٢ مؤتمرا صحفيا وسالت دموعه أمام حفاوة الجماهير وشدد على أنه لم يكن شيوعيا في يوم من الايام وأجاب عما اذا كان يعتبر أميركا أم بريطانيا وطنا له قائلا "وطني هو العالم كله وأشعر أنني أستطيع أن أجد مأوى في أي مكان".

أبني ليس ولدي*

كرم نعمة

ثمة مايشجع في هذه الحكاية على مشاركة القارئ فيها، ربما لتبرير حيرتي، أو لتصور ذهولي الذي يجب أن اقبله في عالم يتغير، وفي النهاية كي أقبل عرضا نادرا او أرفضه.

تربطني بالمكان علاقة حسية خالية من الكلام الثنائي مع الاخر، أعني تعبيرية تنبض في داخلي وحوار مستمر منذ خروجي من المنزل يومياً، الواجهات المقابلة لبيتي تشبه الأم الرؤوم، لاضجة ولا أطفال يلهون الا ماندر، ولا حتى ثمة صوت للكلاب، المنازل مغطاة بالبرد والاشجار والسكون، وفي داخل كل منزل تستمر الحكايات ولا أحد ينشغل بها غير خيالي المحترف للعبة الحلم الذي اضحى معادلا موضوعيا للكتابة، أو لتعلم فن الصمت "مَن ينجح فيه؟ الكل محترف كلام!".

الممر الضيق الذي يقود بعد خطوات الى موقف الحافلة، كأنه يعرفني منذ زمن طويل، أتحاور معه كلما مررت به، فهو صغير ومقتصر على المارة والدراجات الهوائية، وحتى الشجرة الصفراء التي تتوسطه ببريق ذهبي لامع حتى في الخريف، باتت تعرفني! أو هكذا أفضت لي في حواري الداخلي معها من بين عشرات الاشجار التي تسور الطريق في تشكيل غنائي يمنح الذائقة البصرية مساحة من الاسترخاء والهدوء، لو القلب، آه من القلب!

ومع أنني لا أعرف أيا من جيراني في المنزل الجديد وبعد بضعة أشهر من الانتقال اليه، سوى فتى وصديقته رحبا بي في الايام الاولى من انتقالي، لكنني أجد المسوغات لجميعهم، وأتخيل ملامحهم، كيف يعيشون ولماذا يحبون الهدوء، أتحاور معهم بحلم متواصل وأكشف لهم عن يومياتي وكأنني أعرفهم.

علاقتي بالمكان المحاط به والمحيط بي، هي تعريف عميق بامتياز لجماليات المكان حسب "غاستون باشلار" والا لماذا باتت الشجرة الذهبية تعرفني حتى بعد عودتي منتصف الليل استبدل الكلام معها بالغناء! لم اشعر ثمة من يراقبني من الجيران الذين لم التقهم من قبل ودائما أفترض وجوههم المصفوعة بالود والاشراق، لكن المفاجأة كانت بعد يوم قضيت بدايته في تنظيف الحديقة الصغيرة المقابلة للمنزل، في مهمة لم تعد قائمة بالنسبة لي بعد ان سرقنا الكمبيوتر من مهمات الحياة التقليدية.

المفاجأة في رنين جرس المنزل في ذلك اليوم البارد بلذة لندنية هادئة. كان الرجل بملامح انكليزية واضحة وعمره يقترب من الستين وكذلك السيدة التي بدت زوجته يرتديان بلوزتين متشابهتين بلون سمائي، ابتدأ الكلام قبل ان أرحب بهما وقال: أنا جيفري وهذه زوجتي كرستين، نسكن في المنزل المقابل لك نود ان نستظيفك ونتحدث قليلا.

كانت دعوتهما الممزوجة بإبتسامة كرستين الحميمية فألا حسنا، الامر الذي دفعني الى القول بل يسعدني ان ارحب بكما أولا عندي، وبالفعل قبلا دعوتي ودخلا المنزل، قلت لهما لست وحدي هنا فأنا متزوج من ثلاثة كمبيوترات! هذا الذي على الطاولة هو زوجتي الكبرى وغالبا ما أقضي جل وقتي معه، وذاك الذي على المنضدة هو كمبيوتري المحمول الذي يمنحني احيانا بعض المسرات، ولدي زوجة ثالثة، كمبيوتر قديم بعض الشيء في غرفة نومي في الطابق الاول. تفاعلا جدا مع كلامي وشعرت انهما شكرا الرب لانني بدأت بموضوع يمت بصلة للزواج! ضحكا بمجاملة جميلة وقالت كريستين: كما توقعت انت يحق لك الزواج من أربع نساء!! لم يعجبني تعليقها وقلت لها زواجي من الكمبيوتر هو مرض لا أعاني وحدي منه في هذا العالم، وهذه الحديقة الصغيرة المطلة على غرفة الاستقبال تساعدني صباح كل يوم في اجراء التمارين الرياضية وأشرت الى كرة قدم فيها لم تمسها قدم بعد، وقلت ان الكمبيوتر عاجز عن مشاركتي لعب كرة القدم.

تجرأ جيفري وقال نحن نود ان نعرض عليك أمرا آمل ان تتقبله بود وترفضه بود أيضا رغم صعوبته، فأنا عقيم وأحب زوجتي وهي كذلك وقد مر الوقت ولم ننجب، وفكرنا ونحن نشاهدك يوميا تغادر منزلك بعد وقت قصير من عودتنا الى منزلنا عما اذا كنت تقبل ان تبيعنا أو تهدينا "حيامنك" لانجاب طفل نمزج فيه ملامحك الشرقية بملامح زوجتي الانكليزية، تدارك بسرعة كلامه وقال ارجو الا تفهم انك ستمارس الحب مع زوجتي، انها مخلصة لي جداً.

يالهول المفاجأة... أنا الذي صنعت حياة كاملة من الحلم كيف لم يتسن لي التفكير بهذا الامر من قبل...، فمن يشاركني من القراء في اتخاذ مثل هذا القرار ليصبح ابني ليس ولدي!!!

* موقع الف باء.